المركز العربي للمعلومات
CIA 155cR
53 d489

الفنّان التشكيلي الرائد شفيق عبّود [المحيدثة 1926 - باريس 2004]

الغربة المدجّنة بالحنين والعزلة بالحبّ والمدينة بالمنظر ضوءاً وألواناً

مفصل وعلى بيدرين لغويين لوحة شفيق عبود (المحيدثة 1926 – باريس 2004) تتشكل ايضا ضمن التجربة الباريسية. تحمل ذاكرتها اللبنانية، الضوء والمدى، وتغوص في استكشاف المعاني الاختبارية لطليعة باريس. والثابت في لوحة شفيق عبود كونها على امتداد تجاربها منذ الخمسينات، في التجريد الذي لم يكن صرفا مرة واحدة، وكذلك في العودة الى الشبهية التي لم تحترف الوصف والرواية، على اخلاصها ولو غير المعلن لأصولها. حملت ضمنا وباستمرار المنظر الطبيعي كحدث ضوئي/ لوني والمرأة كحالة غرائزية/ عاطفية.

وعرفت طويلا وقبل آونة الصفاء البصري المجدولة على خبرة مهنية عمرها نصف قرن تقريبا، طغيان التفاصيل المتراكمة بعضها على بعضها، والمتنامية في آن واحد الى الافلات من عنصري الانشاء والخبر والى التأسيس للغة خاصة ترفع غربتها.

والصفة الرئيسية للوحة شفيق عبود تخمير العنف الخام بتدجين العنف بالشعر، اي الغربة بالحنين والعزلة بالحب والمدينة بالمنظر الطبيعي. وصحيح القول ان ذلك يسكنها بقدر ما تختزل تحولاته في مدن الهجرة. كأن شفيق عبود هاجر الى لوحته كما يهاجر الآخرون الى باريس المقموعة بطاقتها على استهلاك الثقافات وناسها. ولوحته تدل على انه تجريدي في خفر و اختباري في حذر وطليعي في تقشف، وبالتالي يكتب النص التشكيلي بلغة تنفعل كأنها تخشى على نفسها من نفسها. ويده غالبا حركة غرائزية، من الصفاء العقلاني، تخضع باستمرار لذاكرتها الثقافية وخبرتها المهنية. تستولد بكارتها عند كل ضربة ريشة. ولمستها حالة بريئة عرضة لكل اغراءات الخطيئة الاصلية. ولكنها الى ذلك تعرف كيفية الاستسلام للهذيان واين تتمادى واين تتعقل.

وترفض اي معالجة فكرية/ ادبية صرفة. شفيق عبود رسام في المعنى النقي للكلمة. لا يمتنع عن جرأة كأن الحرية قدر لوحته، كأن النص التشكيلي يحمل مختزل بطاقته في شرايينه.

لغته حدث لوني حتى في الآونة الخطية، تقوم اصلا على التنادي/ التصادم الحركي بين الاشارات المتصارعة على سطح اللوحة. وفيها الاشارة فوق الاشارة لتغذي بساطة الكل لا لتعقيده. فنرى الصوغ لا يمتنع عن الافراط في التفاصيل بينما يجده يعمل على تذويب هذه التفاصيل في زخم حاد ومتماسك. ولعل وصف لغة عبود بالتراكمية الممتنعة (كنقض للسهل الممتنع) افضل تحديد لها. ولذلك تبدو لغة شفيق عبود ملتبسة، تعلن صوغا وتصل الى سواه واحيانا الى عكسه، وتتمادى في التلوين لكنها تتصرف كأنها نص بالابيض والاسود. فلا تتوازن سوى في النقض والتعارض. فالاشارة تلغي الاشارة لا بمحوها وانما بدمجها في الصدمة البصرية الواحدة. لكأن نص اللوحة يكتمل على انقاض لغته. ولغته من هذه الزاوية نص مقفل على اسئلته التي يستعيدها هي ذاتها كمن ينطلق كل مرة من نقطة الصفر الاولى لعله يصل الى الجواب عن "ماذا اللوحة اليوم". اي ان لغته قبل ان تبحث عن الابجدية التشكيلية الراهنة تحوي قلق الانسان امام صدمات الزمن. واصالة شفيق عبود انه لا يحمل الجواب العام عن السؤال التشكيلي الذي يختصر نهاية القرن العشرين، وانه يوظف التحولات خلال نصف قرن تقريبا لاستكشاف المدى الثقافي وكيف يختاره انسان من لبنان في زمن المفاصل التاريخية القاطعة.

شفيق عبود في مقهى بجوار محترفه في باريس.

نزيه خاطر

النهار
٢٠٠٤ أيلول ١٤

فقدتُ بعضاً منّي

امامي الآن الدعوة الى آخر معارضه (الخميس 20 تشرين الثاني 2003) في غاليري كلود ليمان، باريس، الدائرة السادسة. ويومذاك لم يأت، لسوء الحظ واعلمني بعدئذ بأن صحته ليست على ما يرام، والح علي باعطاء رأي في اعمال من القطع الصغير، وحدثني عن إقدام صاحب الغاليري على "لملمة كل ما في محترفه التاريخي" لاقامة هذا المعرض.-

وبعد ظهر أمس، قبل مغادرتي باريس، اتصلت به في محترفه ثم في منزله، لكن من دون جواب، وظننت انه يتشمس ككل سنة على شواطئ احدى الجزر اليونانية التي كان يعشقها، وصدمت حين اعلمني صديقنا نزيه خاطر بأن الكبير شفيق عبود غادرنا الى البراري المضيئة.

ذات يوم فيما كنا نتبادل الآراء، قال لي فجأة: "اعتبر ان تجربة كل منا موازية لتجربة الآخر، واعمالنا لا تلتقي سوى في بعض المحطات".

مع غيابه اعتبر ان شيئا مني فقد، والغريب في الامر ان معرفتنا ببعضنا بدأت في منتصف القرن العشرين، اي في 1950، يوم كان في زيارة عابرة لبيروت، وتواصلنا بفضل قيصر الجميل في الاليا وكنت ابحث عن براويز لمعرضي فبادر الى اهدائي اياها وساعدني في تعليق معرضي. ولم نفترق منذ ذلك الحين.

معهُ بعض اصالة الفن اللبناني غاب.

ايلي كنعان

الضوء الشرقي في ذاكرة العين.

يبقى المؤسس والمثال

عمله الفني، وهو كفنان، الصيغة والمثال الامثل، الاكثر اقناعا، في الانتماء الى الحداثة الفنية في صيغتها الغربية العالمية، وفي صيغتها الثنائية بين الشرق والغرب.

حملت لغته التشكيلية، ومنذ البداية، النَفَس والنبرة عينهما اللتين سعت اليهما الحداثة الغربية كلغة جديدة تطمح الى الاتساع لتكون لغة عالمية واحدة.

واذا كانت لغته هذه استطاعت ان تنضم سريعا الى لغة الفن الحديث مثلما عرفه القرن العشرون، فان هذه اللغة نفسها استطاعت، ومنذ البداية، ان تؤسس للصفحات الاولى في حداثة الشرق الفنية.

في هذا الانتماء الواثق، وفي هذا التأسيس الواضح، يخرج شفيق عبود الفنان من ثنائية الشرق والغرب القلقة، فهو ليس فنانا شرقيا يلجأ الى الغرب، وليس فنانا شرقيا يتطلع الى الشرق. انه يقف في ارض الحداثة التي سعت الى التواصل مع الماضي، سواء كان شرقيا او عربيا كإرث انساني، وأن تتطلع الى المستقبل كهبة للجميع.

تصح قراءة شفيق عبود كفنان ينتمي الى حركة الفن الحديث في اوروبا، او كواحد من فناني فرنسا الكبار، في الاسلوب، في التوجه الفني، في الحس، وفي الابداع.

وتصح قراءته ايضا كفنان لبناني مؤسس ادخل حركة الفن في لبنان والشرق العربي في حوار جدي وعميق للخروج من الهواية والهامشية والتبعية.

لكن الاصح، ان نقرأ تجريدية شفيق عبود في صفاء العين، وقدرتها على النفاذ الى ما هو ابعد من العالم المرئي، وان نقرأ اللون او الضوء في اعماله في صدق القلب الذاهب عميقا وراء ما شف من الاحاسيس، وما رقّ من المشاعر.

مرة جديدة، عمله الفني وهو كفنان الصيغة والمثال الاكثر اقناعا لثنائية الواقع والمجرد، الحسي والروحي. في حين تشعر العين القارئة والمتأملة بأنها ترى ما يشبه الطريق، ما يشبه الحديقة، ما يشبه الجسد، ما يشبه المنظر، سرعان ما تدرك انها تغرق في تأمل عميق، او في اصفاء تام يشدها الى عالم هو بالتأكيد ليس من عالم الارض.

سيبقى شفيق عبود فنانا حديثا ومؤسساً وإن ذهبت الحداثة او تراجع الفن.

سمير الصايغ

كنتَ السبّاق فينا دائماً

كانت الرسائل بيننا شفهية، وبالواسطة، واذ كان زميلنا وصديقنا المشترك إيلي كنعان يبلّغ ويبلّغ.

أكتب إليك وقد تلعثم قلمي. ماذا أقول لك يا رفيق العمر، وقد اختطفتك الملائكة وأنت في أوج العطاء.

تعود بي الذاكرة الى يوم جمعتنا المدرسة الانجيلية، الوحيدة حينذاك في منطقة السيوفي من الأشرفية، كنا في عمر الخمس أو الست، وكانت لدينا معلّمة فرنسية تدرّبنا وتدخلنا في عالم الألوان. ويوم كبرنا وأصبحنا غلماناً في الصفوف الابتدائية كنّا نلعب في كرة القدم حفاةً على الطريق العام بين مرور سيارة وأخرى، كل نصف ساعة، في غبار الأيام الدافئة ووحول الشتاء.

مرّت الأيام والسنوات وقُدّر لنا أن نعاود الرفقة وقد أصبحنا في عمر الشباب، فنلتقي على الدرب نفسها، فتترك أنت معهد الهندسة العالي وأترك أنا وظيفة في عالم المال والمصارف ويجمعنا محترف الرسم والنحت والحفر في الأكاديمية اللبنانية للفنون الجميلة الحديثة النشأة. كنتَ الأقدم والأول بيننا لأنك كنت ألفت العمل الفني المعمّق قبلنا في محترف قيصر الجميّل، استاذنا حينذاكَ، ومن محترف الأكاديمية بعد عدّة سنين جمعتنا باريس لسنين أخرى، وكنتَ دائماً السابق والسبّاق بيننا، وجمعتنا بعد ذلك الجامعة اللبنانية عندما كنت عميداً لمعهد الفنون الجميلة، إذ لبّيت دعوتي وخصّصت بضعة أشهر سنوياً لتزرع في طلاّب محترفات الفن التشكيلي روح الثورة على الصنمية والتخلّف في المجالات الثقافية والفنية المتعددة.

بخطىً من يظنّ ان باريس دافعتك الى الحداثة التي تجلّيت في مسارها، إذ كنت طالباً في الأكاديمية، وكنت ترسم بين رفاقك وأنا منهم، طرائق الولوج في نظرة جديدة الى الفن الحديث، وأضفت بإنجازاتك الفنية في أعوامك الباريسية الطويلة مداماكاً مهماً في بناء الحداثة المتجددة ضمن الفنون التشكيلية العالمية.

دخلت التاريخ يا شفيق وسبقتنا كعادتك، إنما الى العالم الآخر، فهنيئاً لك، والى اللقاء.

نقولا النمار

الكبير محتضن المواهب

دخلت للعمل في الاكاديمية اللبنانية للفنون الجميلة عام 1965 وما كنت اعرف الشيء الكثير عن الفنانين التشكيليين في لبنان. كنت عرفت فقط الفنان جان خليفة الذي علمني الرسم في الصفوف التكميلية. وكانت الاكاديمية يومذاك تضج بالفنانين الذين درسوا فيها ثم تابعوا تحصيلهم الفني في مدارس باريس، وبينهم ايفيت اشقر، زافين هاديشيان، ناديا صيقلي... وهم من الرعيل الذي احدث ثورة على اساتذته في الاكاديمية وكان مجدداً في الفن التشكيلي في لبنان. انما المحرك الاول لهم كان في الخارج، واعني شفيق عبود الذي كان اول الوافدين الى الاكاديمية لدراسة الرسم والتصوير بعدما ترك دراسة الطب. درس في الاكاديمية على يد الفنان قيصر الجميل لثلاث سنين. ثم قرر السفر للعيش في باريس، الا ان جذوره بقيت في لبنان الذي كان يزوره كل سنة مدرّساً ومحاضراً وراسماً وعارضاً ومشجعاً.

في ايام الحرب العصيبة التقيته في باريس وبادرني الى السؤال: هل كل مواد الرسم والالوان والورق متوافرة لدى طلاب الاكاديمية؟ لقد جمعت لهم كميات من عندي ومن اصدقائي والموزعين. ارجو ان يقبلوها مني. وآخر مرة اتى الى الاكاديمية للمشاركة في معرض اقامته خصيصاً للرعيل الاول من فنانيها تحت عنوان "الحدث والحداثة" في اشراف الاستاذ نزيه خاطر لمناسبة مرور خمسة وخمسين عاماً على تأسيس مدرسة الرسم والتصوير.

ادهشني يومذاك هذا الانسان الذي جال في محترفات الاكاديمية وكان يفرح كالاطفال حين يقع نظره على رسم جيد او لون جميل بريشة طالب مبتدىء.

أليست هذه حال الكبار؟

جورج حداد

المركز الكربي للمعلومات

صفحة ناصعة في تاريخ الفن

المستقبل سوف يتحدث في صدق عن شفيق عبود اكثر مما يسعنا ان نتحدث نحن عنه اليوم تحت وقع هذا النبأ المفاجىء والمؤلم.

المستقبل سوف ينظر في هدوء الى حياة شفيق عبود وابداعه والاثر الذي خلّفه هذا الابداع على الحركة الفنية التي نشأت في لبنان ابتداء من أوائل النصف الثاني من القرن الفائت.

المستقبل قد يقول لنا في موضوعية وايجابية ما تمنعنا صداقتنا وقربنا من شفيق عبود من قوله.

الصورة العفوية التي تتبادر الى ذهني الآن هي صورة ذلك الشاب المتواضع، اللطيف، المرهف الاحساس، الذي انقطع عن متابعة دراسة الهندسة لينصرف الى التعبير عما يخالج نفسه وقلقه الوجودي من حالات لا تتمكن لا الارقام ولا الكلمات من الإفصاح عنه ونقله على حقيقته بواسطة الشكل واللون. يتبادر الى ذهني ذاك الانسان الذي قدر رسالته كفنان لا ليكون مرآة عصره بل ليكون رسول عصره، وليبتدع لهذا العصر قيمه الانسانية والروحية، ويشق أمام ابناء عصره من فنانين وغير فنانين الطريق التي تفضي الى التخلص مما يعانونه من تناقض بين ميولهم الحيوانية وطموحاتهم الكيانية.

شفيق عبود صفحة في تاريخ الفن، ليس الفن اللبناني فحسب، فهو اول من شعر بضرورة تخطي المألوف التقليدي في الفن والانتقال الى العالم الاكثر انفتاحاً وشمولا، وهو من ادخل العالم الحديث الى لبنان، وتذوق اللهفة الحديثة الى المطلق، كما ادخل لبنان الى ذاكرة العالم الذي لا يعرف الا ما يحقّر انسان لبنان وطموحه.

جوزف ابو رزق

أستاذ اللمسة البارقة

I

شاعر المدى والصخور والالوان
سيّد التقميش الموشح بألف نبرة وإحساس
استاذ اللمسة البارقة المتوترة
مفجّر الطاقة اللونية والمساحات العذراء
معلم الاجيال التشكيلية اللبنانية
فاتح الطريق لأتباع كثر، بصمات تياره مفروزة في ضمائر مريديه من تلامذة ومعاصرين.
انه شفيق عبود مايسترو الالحان والانغام البصرية المسحورة.

II

من ضباب المحيدثة وسمائها
من مشتقات الطبيعة الخام والأرض المفلوحة
من رائحة التراب والأعشاب البرية
من هضاب صنين ووديان المتن الشمالية
ومن وجوه الناس وتقاسيمها...
رشف شفيق عبود نسغ أعماله التشكيلية التي سحرت أنظار عارفيه وعقولهم في لبنان والعالم.

III

بفقد شفيق عبود نكون قد خسرنا واحداً من اعلام رعيل خطّ دربا واضحة المعالم ومدماكاً متيناً في مسيرة الحركة التشكيلية اللبنانية. انه ينضم اليوم الى قافلة الرفاق صليبا الدويهي، رشيد وهبي، جان خليفة، ميشال بصبوص، سعيدا أ. عقل، رفيق شرف، منير نجم...
بخسارته انسانا من لحم ودم نأمل الا نخسره فنانا، لا سمح الله، أو ان نخسر اعماله بفعل الاهمال والتناسي ممن هم في سدّة المسؤولية المؤتمنين على ارث حضاري ثمين، راجين بموته ان تستفيق الضمائر المبنجة لتعطي فناني بلادنا حقهم من التكريم وذلك بابراز اعمالهم وعرضها في متحف بات من سابع المستحيلات.
باسمي وباسم مجلس نقابة الفنانين التشكيليين اللبنانيين ننعى الى الشعب اللبناني استاذنا وزميلنا الفنان الكبير شفيق عبود آملين ان تنعم روحه برفقة الأبرار.

مارون الحكيم

معلّمنا جميعاً

رحل شفيق عبود الفنان الذي عمل على امتداد مساحة لبنان الثقافية الى أوسع مدى. الفنان الذي حوّل المساحات والألوان والاشكال الى فسحة متمادية متناغمة وجعل طبيعة لبنان سمفونية تتموضع في كل زوايا ذاكرتنا. نغم ينساب عبر عيوننا. فإذ "غنّى التجريد ولحّنه" وصالح بين التجريدية والضوء والكتلة استطاع أن يكون معلمنا جميعاً نحن جيل السبعينات ومن جاء بعدنا من الفنانين اللبنانيين، وكان استاذنا في معهد الفنون بين 1969 و1970 وعلّمنا كيف نذوب في الضوء واللون وكيف نصهر خواطرنا وأحاسيسنا في الحامل الفني وبين أضلع اللوحة وكيف نعالج بمشاعرنا أعمالنا الفنية وكيف نغني الطبيعة وننمدج بها، وكيف نتألق عبر مساحاتنا وكيف نذوب في علاقات فراشينا وقماشاتنا. التقطنا في باريس ليحكي لنا بقية المشوار وبلقننا كيف يتحول الفراغ الى ذرّات متناغمة وكيف تحيا النوستالجيا فينا وتتحول الى حكاية تحكي لبنان بألف طريقة بل بلانهائية نصوصية بصرية.

كان معلمنا في الجامعة وفي الحياة وفي صوغ العمل الفني. ومن منا لم يستلهم شفيق عبود الذي صاغ بونار شرقياً.

عادل قديح

النموذج الكبير

صدمت حين قرأت الخبر في "نهار" امس، الجمعة الحزينة، فثمة رموز في حياتنا ولحياتنا نظن انها خارج اليوميات، وشفيق عبود كأنه من اولئك الكبار الذين نفاجأ إن رأيناهم مثلا يمشون او يأكلون وكيف اذا اكتشفنا فجأة انهم يموتون.

سهل جداً أن نضيف ان غياب عبود مجرد خبر عادي لفناني رعيل عرفه دوما من خلال اعمال منحت كلا منا الركائز القوية للثقة بمستقبل خطه عبود لنفسه قبلنا ومنذ منتصف الخمسينات من القرن الفائت. ادين له منذ التقيته قبل اعوام قليلة في باريس بتصاعد ملحوظ في تفاعلي العميق مع بياض لوحتي، فهو النموذج الكبير للاخلاص الكامل لتقنيات لا يتوقع منها سوى المطواعية المطلقة لرغبات تصقلها على قامة طموحاتها ومواهبها. ولوحة شفيق عبود اكثر من امثولة لكونها اداة تحرّر لمن يعرف كيف يقرأها وماذا يقطف منها واي تفاصيل هي ملكه دون سواه. وفي التجريد الغنائي الذي زاوله في روح ابداعية لم تخبُ يوماً ولم تَبُر، دعوة قوية الى تجاوز المرئي من دون خيانة العين، وجرىء في ملوانته، وعنيف ان واجه بياض لوحته، وقادر على ابتكار الملامس والحفاظ على صدق يده في المضي بلوحته الى الاماكن الجديدة التي تترك في الواقف امامها شعورا غريبا منعشا وجارحاً في آن واحد. كأنه شق لكل منا الطريق التي يستحقها.

شكرا شفيق عبود، جعلتني على يقين من ان لوحتي في أمان.

ريتا النخل